﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١﴾ [النّمل: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

استمرارُ الكفّار في جدلهم بالباطل لدَحْض الحَقّ برغم ظهورِه وبيانِه

لَمّا أشارَ القرآنُ الكريم إلى أنَّهم لَمْ يُقْصِروا في المُبالَغَةِ في التَّكْذيبِ بالسّاعَةِ وجْهًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ أشارَ إلى أنَّهم بالوَعيدِ بالسّاعَةِ وغَيْرِها مِن عَذابِ اللّه أشَدُّ مُبالَغَةً، فأورد هذا السّؤالَ من أسئلتهم التي أرادوا بها المبالغةَ في إنكار العذاب الدّنيويّ والأُخرويّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَٰدِقِينَ﴾: (صدق) أَصْلٌ يَدُلُّ على قوّةٍ في الشَّيْءِ قَوْلًا وغَيْرَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلافُ الكَذِبِ، سُمّيَ بذلك لِقوَّتِهِ في نَفْسِهِ، ولِأَنَّ الكَذِبَ لا قوَّةَ لَهُ. وأَصْلُ هَذا مِنْ قَوْلِهِمْ: شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ: صُلْبٌ، ورُمْحٌ صَدْقٌ[2]. فالمعنى المحوريّ: صلابةٌ أو قوّةٌ في باطن الشّيء، مع شِدّة تماسُكِ جرمِه[3]. والصِّدْقُ والكذبُ أصلُهما في القول، ماضيًا كان أو مستقبلًا، وعدًا كان أو غيرَه، ولا يكونان بالقصد الأوّل إلّا في القول، ولا يكونان في القول إلّا في الخبر دونَ غيره من أصناف الكلام، وقد يكونان بالعرض في غيره من أنواع الكلام، كالاستفهام والأمر والدّعاء. والصِّدْقُ: مطابقةُ القولِ الضّميرَ والمُخْبَرَ عنه معًا، ومتى انخرم شرطٌ من ذلك لم يكن صِدْقًا تامًّا[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 209.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صدق).
(4) الرّاغب، المفردات: (صدق).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استبعادُ الكفّار للعذاب الدّنيويّ دليلٌ على ضيق أُفقِهم وانغلاقِ عقولِهم

حكى اللّهُ تعالى إنكارًا آخَر ممّا أنكرَه الكفّارُ غيرَ إنكارِ البعثِ والسّاعة، وهو إنكارُ عذابِ اللّه في الدّنيا، فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وكَأنَّهم فَهِموا وعْدَهم بالعَذابِ مِنَ الأمْرِ بالسَّيْرِ والنَّظَرِ في عاقِبَةِ أمْثالِهِمُ المُكَذِّبينَ. أي: يقول هؤلاء المشركون في مكّة وغيرُهم في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادِهم وقوعَ ذلك: متى وقتُ هذا العذاب الذي تَعِدُنا به، إن كنتُم أيُّها الرَّسولُ والمؤمنون به صادقين في ادِّعائكم وقولِكم؟ يقولون ذلك على سبيل السّخرية والاستهزاء والإنكار[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ بالواو:

شعورُ الكفّار بصِدق البعث بعد السّير في الأرض، رغمَ إصرارِهم على إنكاره جحودًا وكُفرًا

عطفَ النَّظمُ الحكيم قولَه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾، وذلك أنّه لمّا أخبر اللّهُ ﷻ عن إنكار المشركين البعث والحساب، وذلك من أحوال الآخرة؛ أخبر هنا عن عنادهم واستكبارهم بإنكارهم عذاب الدُّنيا الذي توُعِّدوا به حالَ عدم إيمانهم.

دلالةُ التّعبير بالقول:

جُرأةُ الكفّار وشِدّةُ عنادِهم، وتصريحُهم بكفرهم وشَكِّهم

عبّر النّظمُ الحكيم في صدر الآية بفعل القول ﴿وَيَقُولُونَ﴾ دونَ غيرِه منَ الأفعال التي تدلُّ على معنى القول، وذلك لأنّ مادّة القولِ تشمل كلَّ أنواعِ التّعبير اللّفظيّ، سواء ما كان منها مباشِرًا أو غيرَ مباشِر، ففيه إيجازٌ واختصار يُناسِب بلاغةَ القرآن، ولِما فيه منَ الدّلالة على جُرأة الكفّار وشِدّة عنادِهم، وتصريحِهم بكفرهم دونَ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 50.

مواربةٍ أو لُجوءٍ للتّلميح والإلماع، وهو ما يُشير إلى أنّ عنادَهم قد قادَهم إلى السَّفه وعدمِ الرَّويَّة، فجزموا حيثُ لا ينبغي الجَزْمُ.

نُكْتَةُ العُدول عنِ التّعبير بالماضي إلى المضارع:

عنادُ المُكذّبين بالبعث ومماراتُهم مستمرّةٌ حاضرةٌ باديَةٌ للعَيان

جاء الفعل ﴿وَيَقُولُونَ﴾ بالمُضارِعِ المُؤْذِنِ بالتَّجَدُّدِ؛ لِلدّلالَةِ عَلى تَجَدُّدِ ذَلِكَ القَوْلِ مِنهم كُلَّ حينٍ لِلاستِمْرارِ، أيْ: لَمْ يَزالوا يَقولونَ، وفيه إشارةٌ إلى شِدّة عنادهم الذي استحَقّوا به مصيرَ المُجرمين السّابقين[1]. وكان مقتضى الظّاهر أن يَرُدّ النّظمُ القرآنيُّ على نحو: (وقال الذين كفروا متى هذا الوعد) أو (وقالوا متى هذا الوعد)، ولكنّ النَّظمَ الحكيم عدلَ عنِ التّعبير بالماضي إلى المضارع؛ إيماءً إلى استحضار الحالِ الماضيَة منهم؛ لكون ذلك دالًّا على تَكرار صدوره منهم، وأنّ العناد شأنُهم ودَأْبُهم، وأنّهم مستمرّون فيه دونَ مَسْكَة من رَويّة أو عقلٍ.

التّوجيهُ البلاغيُّ للاستفهام في الآية:

سخريةُ الكفّار وتَهَكُّمُهم بقضية البعث، دليلٌ على سَفَهِهم وعدمِ إدراكِهم

جاء الاستفهامُ عن موعد حلول العذاب كما حلّ بالأُمم السّابقة من منكري البعث في القرآن الكريم بالصّيغة نفسِها، في سبعة ستّة مواضعَ، وهي قولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: 48]، و[الأنبياء: 38]، و[النّمل: 71]، و[سبأ: 29]، و[يس: 48]، و[المُلك: 25]، وصَدَر كذلك في صورٍ قوليَّةٍ مختلفة، فمَرّة يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [الإسراء: 51]، ومَرّة بالسّؤال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ [النّازعات: 42]، أو ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ [القيامة: 6]. فالعباراتُ مختلفةٌ، والمعنى واحد، وهذا الاستفهام استفهامٌ مجازيٌّ، وقد أجمع الأئمّةُ على أنّ المُراد به الاستبعادُ والإنكارُ، أي: إنكارُ وقوعِه، وأنّه لن يكون[2]. فالاستفهامُ بـ﴿مَتَىٰ﴾ هاهنا لا يجري على حقيقته

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 209، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 27.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 183.

في طلب تعيين الوقت؛ إذ لا يخلو من استنكار وتَهَكُّم على الوعد، دليلًا على تعنُّتِهم، وإعناتهم لأنفسهم، وتحدّيهم للّه ورسولِه أن يَنْزِل بهم ما وُعِدوا من عذاب[1].

بلاغةُ الكناية في الاستفهام:

المبالغةُ في تكذيب البعث واستبعادِه وإنكارِه دليلٌ على فساد عقولهم

جاء الاستفهامُ بـ﴿مَتَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ دالًّا على التّهكُّم والاستهزاء والسُّخريَة، فهو كناية عن عدم اكتراثهم به، وأنّهم لا يأبَهون به، لينتقلَ من ذلك للتّدليل على أنّهم مُكذّبون بحصوله، وذلك بطريق الإيماء، فهو اسْتِفْهامُ تَهَكُّم وسخرية، بِقَرينَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، أي: إن كنتم صادقين في أنّ حلول العذاب أمرٌ واقعٌ لا شكَّ فيه، فَعَيِّنوا لنا وقتَه وموعدَه. والمرادُ الحقيقيُّ من سؤالهم هذا المبالغةُ في تكذيب البعث، فكأنّهم قالوا: لن نُصَدّقَ بحلول العقاب بنا حتّى نرى ما وعدتنا به رأيَ العين، كنايةً عن اعتقادهم عدمَ حلولِه، وأنّهم لا يصدّقون به، أو كنايةً عن انعدام وقتٍ تقوم فيه السّاعة؛ لأنّ انعدام الوقتِ يستلزم انعدامَ وقوعِ حَدَثٍ فيه؛ لأنّ كلّ حَدَث لا بدّ له من زمان يقع فيه، فنَفْيُ الزّمان كنايةٌ عن نفي حلول العذاب بهم، وعن نفي البعث[3].

نُكْتَةُ التّعبير باسم الإشارة:

تَهكُّمُ المشركين بأمر البعث دليلٌ على سَفَههم وفسادِ عقولِهم

عبّر النَّظمُ الحكيم في حكايةٍ لأقوال المشركين باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، الّذي يرجع إلى حلول العذاب بهم كما كانت عاقبةُ المجرمين السّابقين، واستعمالُه على هذا النّحو يُفيد المبالغةَ في تَهكُّم المشركين بوقوعه، واستبعادِ حدوثِه، واستبطاءِ حصولِه؛ تحقيرًا من قضية البعث وأمور الآخرة.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5481.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 27.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 183.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾:

من سُنن اللهِ الماضيةِ استئصالُ المكذّبين في الدّنيا وتعذيبُهم في الآخرة

(أل) في لفظ ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ للعهد العلميّ، والمعنى: ويقولون متى هذا الوعد الذي تتهَدَّدُنا به كلّ وقتٍ وحين، وهو إمّا الاستئصالُ في الدّنيا، وإمّا العذابُ الأُخرويّ، وقد أيقنوا بذلك لِما رأوا مصائرَ المُكذبين من قبلهم، ولكنّهم أَبَوا إلّا الإنكارَ والاستكبار.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالمصدر ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾:

مبالغةُ الكفّار في إنكار العذاب الدّنيويّ والأُخرويّ

أُطلِقَ الوعدُ في قول الله جلّ اسمُه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾، وهو في الأصل مصدرٌ منَ الفعل: وعد يعدُ؛ على الأمر الموعود به، فالسّؤال عنه باسم الزّمان مُؤوّل بتقديرٍ يدلّ عليه المقام، أي: متى ظهورُه؟ والتّعبير به من قبيل المجاز المُرسل، بعلاقة التّعلّق الاشتقاقيّ، والنّكْتَةُ في ذلك: المبالغةُ في نفي الأمر الموعود به؛ بإبطال أصله، وهو أن يكون الوعد بالعذاب في الدّنيا والآخرة صحيحًا.

عِلّةُ تعليقِ الشّرط بالحرف ﴿إن﴾ دون (إذا):

استبعادُ الكافرين لِصدق النّبيّ ﷺ فيما أخبر به من توعُّد اللهِ لهم بالعذاب

علَّقَ النّظمُ الحكيم الشّرطَ في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ بحرف الشّرط ﴿إن﴾، دون (إذا)؛ وذلك لأنّ حرفَ الشّرط ﴿إن﴾ يُستعمل في الأصل للأمر المشكوكِ فيه، الذي لا يُقطَع بتحقّقه، كالأمور الموهومة، والنّادرة، والمستحيلة، وسائرِ الافتراضات الأخرى، فهو لتعليق أمرٍ بغيره عمومًا[1]، بخلاف (إذا) التي تفيدُ التّحقّق؛ ولذا كان منَ المناسب أن يأتي بهذا الحرف - في حكايته لأقوالهم - ليلائِمَ تَهَكُّمَهم وإنكارَهم لحصول العذاب الذي توعَّدهمُ اللّهُ به.

بلاغةُ حَذْفِ جوابِ الشّرط:

حُذِفَ جوابُ الشّرط في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ لدلالة

(1) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 69.

المَقام عليه؛ إذِ المُراد: إن كنتم صادقين في أنّ الله توعَّدنا بالعذاب، كما فعل بالأُمم السّابقة؛ فلْيأتنا بهذا العذاب، أو يكون الجواب: فمتى هذا الوعد؟ فَحُذِف إيجازًا؛ ليكون ذلك أنسبَ للدّلالة على مبالغتهم في الإنكار والاستكبار.

من سَفَهِ الكافرين استعجالُهم بالعذاب على وجه الاستهانة

سِرُّ التّعبيرِ بالفعل ﴿كُنتُمْ﴾:

عدلَ النّظمُ الحكيم عنِ التّعبير بـ(إن صدقتم) إلى التّعبير بـ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ وذلك لأنّ ذِكْرَ فعلِ (الكون) في الآية الكريمة يدلُّ على الحصول المطلق، وخبرُه يدلُّ على الكون المخصوص، فقال: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ أيْ: أنْتَ ومَن تابَعَكَ، كَوْنًا هو في غايَةِ الرُّسوخِ، كَما تَزْعُمونَ ﴿صَٰدِقِينَ﴾[1].

مبالغةُ الكفّار في تأكيد تكذيبهم الرَّسولَ ﷺ والمؤمنين

دلالةُ التّعبير بالصّدق مادّةً وصيغةً:

جاء التّعبيرُ بمادّة الصّدق في الآية مناسبًا غايةَ التّناسبِ لادّعاء الكافرين المُعانِدين تكذيبَ النّبيّ ﷺ والمؤمنين؛ وذلك أنّهم بعد أن تيقّنوا من هلاك المُكَذّبين منَ الأُمم السّابقة، زادوا ذلك عِنادًا واستكبارًا، فرَمَوا المؤمنين بما في ذات نفوسهم من تكذيب، فادَّعَوا عليهمُ الكذبَ، وعبّروا باسم الفاعل، الذي يدلّ على الثّبات والدّوام، للمبالغة في نفي الصّدق عنِ المؤمنين، والمعنى: إن كان الصِّدق لكم عادةً متأصِّلةً في نفوسكم فأخبرونا بموعد ظهورِ هذا الوعيد.

تمادي الكفّارِ في نفْيِ الصّدقِ عنِ الرَّسول ﷺ والمؤمنين

نُكْتَةُ التّعبيرِ بضمير الجَمْع:

عبّر النّظمُ الحكيم في حكايته لأقوال المشركين باسم الفاعل المُسنَدِ إلى الجمع ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ وذلك للدّلالة على تكذيبهم للرّسول ﷺ ولأتباعه منَ المؤمنين، برغم أنَّ تكذيبَهم إنّما هو في المقام الأوّل تكذيبٌ للنّبيّ ﷺ وحْدَه، ولكنّهم عَبّروا بذلك لإيقانهم أنّ المؤمنين تابعون للرّسول ﷺ فيما بَلَّغَهُم عن ربِّه، فصدر ذلك

أهلُ الإيمان تابعون للنّبيّ ﷺ فيما بَلَّغَهُم عن ربِّه ﷻ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 209.

منهم على هذا التّعبير على سبيل التّهكُّم والسّخريَة، رغبةً منهم في تشكيك المسلمين في صِدق نبيّهم، وإدخالِ الرّيبة في قلوبهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصّدق والإيمان:

الصِّدْقُ هو مطابقةُ القولِ الضّميرَ والمُخْبَر عنه معًا، ومتى انخرمَ شرطٌ من ذلك لم يكن صِدْقًا تامًّا. وأمّا الإيمان: فهو الثِّقَةُ، وإظْهارُ الخضوع، وقبولُ الشَّريعَة. والإيمان بالله: مَعْناهُ التَّصْديقُ الَّذي هوَ نقيض الكفْر، وهوَ الإقْرارُ بِاللِّسانِ والتّصديقُ بِالقَلْبِ. والتّصديقُ بِالقَلْبِ هوَ الرُّكْن الأَعْظَم، والإقْرارُ كالدّليل عليه[1]. فالإيمانُ يشمل الصّدقَ وزيادةً، فكلُّ إيمانٍ صدقٌ، ولا يدخل كلُّ صدقٍ في باب الإيمان. ولمّا كان سؤالُهم عن خبر يشكّون به، وهو البعثُ، ناسبَ التّعبيرُ بلفظ الصّدق.

الصّدقُ مطابقةُ القولِ الضّميرَ والمُخْبَر عنه، والإيمانُ نقيضُ الكفر

(1) الرّاغب، المفردات: (صدق)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 212 - 213.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»